الدكتورة: نادية خطار

المحاضرة الرابعة: الانسجام و آلياته

إن ظاهرة **الانسجام** مميزة بالنسبة إلى الدراسات التي تعنى بلسانيات النص وتحليل الخطاب أو المحادثة؛ إذ لا يمكن أن نفهم أي كلام دون التفطن إلى العلاقات الرابطة فيه، فهي توجهنا وتقيد فهمنا فإذا كان الاتساق "الربط"جزءا من نظام اللغة فإن **الانسجام** "الترابط"جزء من نظام العقل أو هما في علاقة تفاعل دائمة بين المعطى اللساني للخطاب والمعطى المعرفي الذي نشأ فيه، ولا يمكن للمتكلم أن يستغني عن هذا التفاعل في تنظيم نسق النص وتركيب الخطاب قولا وفهمه معنى.

شرط الانسجام: التسلسل المنطقي للأفكار /الجمل دون حدوث انقطاعات تؤدي إلى وجود خلل.

حدد علماء لسانيات النص آليات الانسجام في:**بنية الخطاب** المكونة من مرسل ،مرسلة و مرسل إليه.**السياق**: الذي أنتج ضمنه و هنا ندرج دور المتلقي في التعامل مع نسق النص و الحكم على انسجامه من عدمه لأن معرفة المتلقي بالملابسات التي أنتج ضمنها نسق النص تعينه على تقديم تأويلات إزاءه.**مبدأ التأويل المحلي**: يعد هذا المبدأ تقييدا لتأويل المتلقي من خلال خصائص السياق، فالمتلقي لا ينتج تأويلا بعيدا عن السياق مادام السياق لا يقدم تأويلا لتأويل آخر.فمثلا في قولنا: ذهبت إلى بيت الأسرة و تحدثت مع الأب، يفرض مبدأ التأويل المحلي أن الأب المخاطب هو أب الأسرة التي ذهبت إليها وليس أب أسرة أخرى، فالمتلقي هنا لا يفترض تأويلا لا يدل عليه

السياق.**التغريض**:وهو كيفية انتظام الخطاب في تدرجه من البداية إلى النهاية ارتباطا وثيقا يجمع بين خطاب العنوان بوصفه العتبة البدئية التي من خلالها نلج إلى المتن وخطاب الأنساق أو الأجزاء المكونة للنسق الجامع. **مبدأ التشابه**:أي تشابه النصوص و تراكم تلقيها لدى المتلقي مما يعني؛ إدراك المتلقي بعد مواجهة خطابات متنوعة الاطرادات عن طريق التعميم و اكتشاف الثوابت و المتغيرات فيتزود المتلقي بالقدرة على توقع اللاحق من النصوص بناء على النصوص السابقة مما ييسر للمتلقي تقديم تأويل للنص بل و المشاركة في عملية بنائه من جديد و هو ما سعت مقولات ما بعد البنوية إلى ترسيخه.**الخلفية المعرفية**: يتماشى مفهوم الخلفية المعرفية مع مفهوم الموسوعة الذي حظي بأهمية بالغة لدى"**أمبرتوإيكو**" إزاء متصوره للعلامة والتأويل، فهو يرى بأن التأويل يخضع لإستراتيجية معقدة تدرج ضمنها كفاءة القارئ اللسانية.....و كذا موسوعته التي"تتضمن التعاقدات الثقافية التي ينتجها الكلام، و حتى تاريخ التأويلات السابقة لمجموعة من النصوص والتي من بينها تأويلات النص الذي يكون القارئ بصدد تحليله لإن"اللغة باتت تمارس نوعا من"الإنزياح"l'écart" عن المعيار بوصفه فعلا"ليس شائعا ولا عاديا ولا مطابقا للمعيار العام والمألوف...إنه انزياح بالنسبة إلى معيار"لدى التصور المحايث إلى اللغة و نتيجة لذلك، يتحقق فعل الانفتاح داخل بنية اللغة ويصبح"مبدأ اللانحوية جوهر اللغة" فتنفلت من تبعيتها الأجناسية و تنعتق من فكرة البناء الهندسي إلى البناء الديناميكي فيغدو مجال وجود اللغة ليس الوعي الفردي كأساس للنشاط اللغوي أو كقانون للإبداع بغية تحصيل لغة تامة منجزة ،بل العلائق الحوارية التي تعصف بالنسق المغلق للغة وهو ما يؤكد"الدينامية التي تميز كل فن والتي تظهر في الانتهاكات المستمرة للقاعدة الموضوعة".

بيد أن تبني اللغة مبدأ فاعلية الإنزياح أتاح لها مكنة التحرر من شكلها المونولوحي المنطوي على ذاته ومن إنجازيتها وجمودها إلى انفتاح نسقها وتعدد أبنيتها وحوارية أصواتها إذ تصبح(اللغة...ليست هي الصياغة "المختزلة جدا"،وإنما التلفظ،أو..نشاط تخاطبي) على هذا الأساس، لم تعد وظيفة اللغة حكرا على التمثيل الإكراهي أي؛حمل رغبة المؤلف المتعالية ونقلها إلى متلق سلبي عبر إجرائية كتابة مغلقة بغية كبح فعل التأويل،إن اللغة ليست نتاج ارتباط دال بمدلول بل إن اللغة كما ذهب لذلك"**جاك لاكان** DJAK LACAN"شرط اللاوعي الذي يعادل لديه مفهوم الآخر(أين تقرا اللغة،من خلال علاقة دال بدال(لم تعد تقرأ من خلال علاقة الدال بالمدلول)إن اللاوعي،بما أنه مبنين تبنين اللغة، هو خطاب الآخر،(ومن ثم).ينبغي فهم كل كلمة من كلمات اللغة في علاقتها بكلمات أخرى،سواء أكانت حاضرة أم غائبة،كما أن أية علاقة بالآخر(ذات،موضوع،عالم)نتاج لهذا التبنين الثقافي الذي يفكر في مكان الذات...(ومن ثم)تصبح نظرية اللاوعي مع"**لاكان**" دعامة لأنثروبولوجيا جديدة هي أنثروبولوجيا التفاعل الذاتي والتعدد اللغوي من خلال تخريب "**لاكان**"مبادئ الفلسفة المثالية المؤسسة على النظر إلى الذات بوصفها ذاتا مستقلة بغية تجاوز سلطة الصوت الواحد ذلك أن(علامة ما قد تكون عديمة المعنى أو فقيرة إذا ما اعتبرت بمفردها،أي منعزلة عن شبكة العلامات المحيطة بها أوعن مقام تلعب فيه دورا من الأدوار.فإذا ما ثم ربط العلامة في علاقة مع علاقات أخرى، قد تنتمي إلى أنظمة سيميائية مختلفة، فها إنها تصبح ثرية بالمعاني وقابلة إلى أن تؤول)لم يعد التواصل إذن، الوظيفة الجوهرية الذي يطبع نسق اللغة،لأن "**ياكبسون**" يضع اللغة ضمن المجال التداولي الذي يسمح للغة بأن تنهض على البعد الاجتماعي الذي يتيح لها فعلي الإنفتاح والتطور حيث إن، السنن لم يعد يحمل معنى الفكرة المسطحة والخطية للعلامة باعتبارها استبدال صرف بين متماثلين، إن السنن"في علم الأصوات الياكبسوني يظهر...لاباعتباره آلية تسمح بالتواصل بقدر ما يظهر باعتباره آلية تسمح بالتحويل بين نظامين لأن اللغة تنظم قواعدها التعالقية وتتدخل في هذه البلبلة المقصودة لتوليد تحويلات للأرحام البنيوية" عبر حوارية أصواتها.

بما أن نسق اللغة نسق تداولي فإن اللغة أصبحت تؤدي **قصدية** ما يتوخاها الباث وفق استراتيجيات محددة بوصفها "الطرائق التي توصل مقاصد المرسل وتعين على إرادة دفة الحديث" بغية تحقيق مقاصده أو أهدافه التي يصبو إليها وإبلاغ مضمون مرسلته ليتمكن المتلقي من أن يأخذ منه المعلومات المنشودة، ذلك أن معنى اللغة مرهون بحضور شرط **القصد** الذي من أجله يسوق المخاطب خطابه.

وعليه، فإن المعنى يرتهن دوما إلى **القصد** بوصفه (جوهرالسيرورة التواصلية وعماد المعنى..ذلك أن القصد توجه مباشر إلى الموضوع ليتماهى مع فعل الإدراك من قبل الذات) المخاطبة لتحقيق فعلي التأثير والقصد في المتلقي حيث إن "للمتلقين وجودا إيقونيا ورمزيا وكما أن أي مرسلة تتطلب باثا مثاليا فكذلك الشأن بالنسبة إلى المستقبل المثالي" وهو ما ألح عليه "**أمبرتوإيكو**" في فصول كتابه "السيميائية وفلسفة اللغة" وأكده"**تشارلز سندرس بيرس**" من أن مستقبل المرسلة يمتلك دورا جوهريا في تحريك فعل التأويل وتحويل مفهوم العلامة وتفعيلها وجعلها أكثر انفتاحا.

من هذا الطرح، لاينظر "**إيكو**" إلى العلامة كونها معادلا صرفا وترابطا قارا بين دال ومدلول، إذ إن الفكرة الأصلية للعلامة لديه" تتأسس على الاستدلال وعلى التأويل وعلى ديناميكية توليد الدلالة. فالعلامة في الأصل لاتتبع أنموذج "أ=ب" بل أنموذج إن "أ" إذا..." والحق أن توليد الدلالة_ بالرجوع إلى ما قاله بيرس_ هو "فعل أو تأثير يستلزم مشاركة ثلاثة أطراف هي العلامة وموضوعها ومؤولها، على نحو لا يتم فيه هذا التأثير النسبي بأي شكل كان في فعل اثنين منهما فحسب، تعريف توليد الدلالة هذا لا يتعارض مع تعريف العلامة...العلامة تعبير أو تمثيل وتبعا لهذا، لا تنتج علامة إلا إذا دخلت عبارة، وبصفة فورية، في علاقة ثلاثية حيث يولد الطرف الثالث، أي المؤول بصفة آلية تأويلا جديدا وذلك إلى ما لانهاية له. وتبعا لهذا، فان العلامة هي ذلك الشيء الذي يجعلنا دائما نعرف شيئا ما إضافيا" ، مما يبرز لنا الأهمية التي يحظى بها متلقي المرسلة اللغوية أو غير اللغوية .

يترتب عن ذلك، أن لسانيات النص تتشوق دوما إلى دراسة ما عجزت اللسانيات البنيوية باعتبارها لسانيات محايثة غير تداولية عن دراسته كاهتمامها بمستعمل العلامة وبمفكك شفرتها دون إغفالها الدور الكبير الذي يؤديه السياق في النشاط التخاطبي باعتباره مكونا أساسيا من مكونات بنية اللغة والمؤطر الجوهري لفعلها التواصلي، ذلك أن الهوية التركيبية لنسق اللغة ضرورية "ولكنها غير كافية:لكي يكون هناك هوية للرسالة يجب أن يكون هناك أيضا هوية السياق(...)لا يمكن أن يكون للرسالة معنى إلا ضمن سياق ومن خلال هذا السياق" بوصفه عاملا خارجيا ولحمة من الظروف التي تجتمع إثر فعل التلفظ كي تؤدي دورا تأسيسيا في تركيب نسق اللغة و بناء النص وتركيب الخطاب.

المصادر المعتمد عليها في تحرير المحاضرة:

المصطلح اللساني و تأسيس المفهوم لخليفة الميساوي،منشورات الاختلاف،الجزائر، ط01-2013.

لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطابي ،ط01،المركز الثقافي العربي،1991.

مفتاح بن عروس، حول الاتساق في نصوص المرحلة الثانوية مقاربة لسانية، مجلة اللغة والأدب، ع/12 دار الحكمة-الجزائر 1997.

سيمياء التأويل، الحريري بين العبارة و الإشارة لرشيد الإدريسي، شركة النشر والتوزيع،المدارس-المغرب،2000.

أحمد يوسف، سيميائيات التواصل و فعالية الحوار،ط01

جون كوهين، بنية اللغة الشعرية،تر/محمد الوالي و محمد العمري،المعرفة الأدبية،دار توبقال، الدار البيضاء-المغرب ط-1986،01.

جاك لاكان،اللغة الخيالي الرمزي،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط-2006،01.

أمبرتو إيكو، السيميائية و فلسفة اللغة، تر/أحمد الأصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان ،ط-01 ،2005.